

خطبة الجمعة - الخطبة ٧١٥ : خ١ - العطاء والبذل صفة المؤمن الأساسية ، خ٢ - خلق الله في البوصلة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٩-٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحده، و نستعين به و نسترشد، و نعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له و من يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا، و أشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له إقراراً بربوبيته، و إرغاماً لمن جد به و كفر، و أشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه و سلم رسول الله سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسالم و بارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته، ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، و أرنا الحق حقاً، و ارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا، و ارزقنا اجتنابه، و اجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح :

أيها الأخوة الكرام... بعد أن يؤمن المؤمن الإيمان الذي يحمله على طاعة الله، ينبغي ألا يشغله شيء أكثر من العمل الصالح، لأن أكثر من مئتي آية فرنت الإيمان بالعمل الصالح، بل إن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح..

﴿ وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾

[سورة الأنعام: ١٣٢]

بل إن علة وجودنا في الدنيا بعد أن عرفنا الله العمل الصالح، والدليل أن الله عز وجل يقول لهذا الإنسان الذي قارب الموت:

﴿ قَالَ رَبُّ ارْجِعُونِ * لَعَلَّيِ أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

يا أيها الأخوة الكرام.. ربنا جل جلاله خلق لنا فرضاً للعمل الصالح لا تُعد ولا تحصى، بل إن الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخالق، الله جل جلاله تود إلينا بنعم لا تُعد ولا تحصى، وخلق الود فيما بيننا، ورسم إليه طرائق لخطب وده لا تُعد ولا تحصى.

أيها الأخوة الكرام... إن أردت أن تحل شخصية المؤمن تحليلًا دقيقاً تجد أن في أعماقه سمة البذل، لأن هذا المؤمن بنى حياته على العطاء، يعطي ليرضي الله، يعطي لينال القرب من الله، إن صح أن غير المؤمن بنى حياته على الأخذ، إن المؤمن بنى حياته على العطاء، ولعل هذا واضح جداً في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رِبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

[سورة البقرة: ٣-٤]

فهذا الذي بنى حياته على الأخذ، أو هذا الذي لا يفكر في العطاء، أقول لكم هذه الحقيقة وإن كانت مرّة: ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن، حتى تعبّر عن ذاتها بحركةٍ نحو الآخرين.

لن تجد مؤمناً سكونياً، لن تجد مؤمناً منسحاً من الحياة، لن تجد مؤمناً متقوقاً في بيته، لن تجد مؤمناً يقول: أنا لا يعنيني أمر الناس. إن لم تحمل هم المسلمين فلست من المسلمين، الحد الأدنى الذي يؤكّد إيمانك أن تتحرك لخدمة الخلق، أن يعبر إيمانك عن ذاته بعملٍ صالح.

العطاء سمة المؤمن الأساسية :

أيها الأخوة الكرام... لعل أحدكم يقول: ما الحكم من سوق هذا الموضوع؟ الجواب: أن هناك نماذج قناعاتها جيدة بأحقية هذا الدين، والتزامها جيد، ولكنها لا تفكّر أن تبذل شيئاً. إنك إن أطع الله سلمت، لكنك لا تسعّد إلا بالعمل الصالح، لأن الله عزّ وجلّ يقول:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوَا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف : ١١٠]

بل إن حجمك - مرّة ثانية - عند الله بحجم عملك الصالح، فإذا كان في شخصية المؤمن سمة - علماء النفس قالوا: السمة غير الصفة، السمة يعبر عنها بعشرات الصفات، أي خصيصة أساسية في شخصية المؤمن - إذا كان في شخصية المؤمن سمة أساسية فهي سمة العطاء، يعطي من وقته، يعطي من علمه، يعطي من ماله، يعطي من جاهه، يعطي من جده، يعطي من عضلاته، العطاء سمة المؤمن الأساسية، وأيات القرآن الكريم كلها تؤكّد هذه الحقيقة، وإن أردت أن تعرف ما إذا كنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة فانتظر ما الذي يسعدك أن تعطي أم أن تأخذ؟. أيها الأخوة الكرام... لعل هذا ينطلق من قوله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً﴾

[سورة الحشر: ٩]

فالمؤمن يؤثر أخاه؛ وغير المؤمن شحيح، والشّح مرضٌ عضال يصيب النفس، والله عز وجل يقول:

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحشر: ١٦]

أنتم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً، أنتم الناس من بخل بعملٍ صالح يقربه إلى الله، أنتم الناس من لم يفكّر بحركةٍ نحو الخلق.

العطاء يسعد المؤمن :

أيها الأخوة الكرام... عن أنس بن مالك عن أُبي هُرَيْثَةَ رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار قال:

((يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاتاً؟ قال: ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض))

[صحيح عن أنس بن مالك وأبي هُرَيْثَةَ رضي الله عنه]

المؤمنون المؤاثرة دَيَّنُهُمْ، وغير المؤمنين الأثرة دِيَنُهُمْ، الأثرة أن تخص نفسك وتتسى الآخرين، أما المؤاثرة فأن تخص الآخرين قبل أن تخص نفسك.

أيها الأخوة الكرام... العطاء - كما قلت قبل قليل - صفة المؤمن الأساسية، سيدنا قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما كان من الأجداد المعروفين، حتى أنه مرض مرةً فاستطاع إخوانه في العيادة، فسأل عنهم فقالوا: إنهم كانوا يستحبون ما لك عليهم من الدين - الدين الذي عليهم حال بينهم وبين أن يعودوك - فقال سيدنا سعد بن عبادة: أخذ الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر منادياً ينادي من كان لقيس عليه مالٌ فهو منه حل. مما أمسى حتى كثر عواده في البيت.

العطاء يسعد المؤمن.

مراتب العطاء :

١ – الجود بالنفس :

أيها الأخوة الكرام... الآن إذا بحثنا في مراتب العطاء، أعلى مرتبة أن تجود بنفسك، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، هؤلاء الذين قتلوا لتكون كلمة الله هي العليا؛ هؤلاء نالوا مرتبة الشهادة، وهناك أحاديث كثيرة تصف هؤلاء الشهداء، والله عز وجل يقول:

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٩]

فأعلى عطاء هو أن تعطي نفسك، أن تجود بنفسك؛ والجود بالنفس أقصى غاية الجود. ولكن لا تنسوا أن الشهيد يغفر له كل ذنبٍ إِلَّا الدِّينُ، حقوق العباد مبنيةٌ على المشاحة، بينما حقوق الله عز وجل مبنيةٌ على المسامحة. هذه واحدة؛ أن يوجد الإنسان بنفسه، وهذا فعله أصحاب النبي رضوان الله عليهم فبلغوا أعلى مرتبة عند الله عز وجل، حينما عين النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا زيد بن حارثة قائداً في جيش مؤتة، وبعده جعفر، وبعده عبد الله بن رواحة. أمسك الراية سيدنا زيد فقاتل بها حتى قتل، ثم أخذ الراية من بعده سيدنا جعفر فقاتل بها حتى

قتل، فلما جاء دور سيدنا عبد الله بن رواحة - هكذا في بعض السير - أنه تردد قليلاً وكان شاعراً قال:

يا نفس إلا تقتلني
هذا حمام الموت قد صلبت
إن تفعلي فعلهما رضيت وإن توليت فقد شقيت

* * *

وأخذ الرأية فقاتل بها حتى قتل، فلما أخبر النبي أصحابه قال:
(إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعُدُوَّ وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّأْيَةَ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ بَعْدَهُ
جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ...))

وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم سكت النبي عليه الصلاة والسلام. فقلق أصحابه على مصير عبد الله بن رواحة قالوا: يا رسول الله ما فعل عبد الله؟ قال:
(ثُمَّ أَخَذَ الرَّأْيَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ...))

[أحمد عن عبد الله بن جعفر]

وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه. هذا التردد الذي لا يزيد عن ثلاثة ثانية هبط مقامه عن صاحبيه. الحقيقة أن الإنسان خلق ليعطي، خلق ليقرض الله قرضاً حسناً.
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٥]

٢ – الجود بالمكانة :

يا أيها الأخوة الكرام... أحياناً قد تحتاج أن تصحي بمكانتك، هذه المكانة فيها مغامن كثيرة، ولكنك إذ أقررت بالحق واتبعته منهج الله عز وجل، قد تفقد هذه المكانة، هذا البذل يأتي بعد بذل النفس، ما الذي يحول أحياناً بين رؤساء الأديان وبين أن يسلمو؟ المكانة التي يتمتعون بها، وما يتبع هذه المكانة من مكاسب، فالإنسان حينما يؤمن بالله عز وجل، وحينما يرجو الله والدار الآخرة، قد يضحى بأثمن شيء بعد وجوده؛ إنها مكانته، ورياسته، والمكاسب التي يحظى بها هذه قد يضحى بها الإنسان في سبيل إعلان كلمة الحق.

وقد يخسر الإنسان شيئاً من الدنيا حينما يلتزم طريق الله عز وجل، ولكن هذا محفوظ عند الله..
(ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه)

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

أيها الأخوة الكرام... كما أقول دائماً: زوال الكون أهون على الله من أن تؤثر رضاه على شيءٍ من حطام الدنيا، وأن تكون في مؤخرة الركب، وأن تكون من الخاسرين، مستحيلٌ وألف مستحيلٍ أن تعصيه وتربح، ومستحيلٌ وألف مستحيلٍ أن تطيعه وتخسر.

وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشَهِدُ لِعْبَادَهُ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ مِنْ خَلَالَ أَفْعَالِهِ، فَالَّذِي يُؤْثِرُ طَاعَةَ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ حَطَامِ الدُّنْيَا تَأْتِيهِ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.

قواعد وقوانين مستنبطة من حركة الحياة :

يا أيها الأخوة الكرام... لا بد من توضيح دقيق؛ هناك قواعد وقوانين قد تستتبط من حركة الحياة، أحياناً الإنسان يرى كل مصلحته في هذا الموقف، لكن هذا الموقف لا يرضي الله، فإذا غلب عليه حبه لله ورغبته في طاعته، وأثر الآخرة على الدنيا، وضحى بما يتراءى له من مصلحةٍ عاجلة، وأطاع الله عز وجل، وكسب وده، عندئذٍ يُخضعه الله عز وجل لمنظومةٍ من القواعد لا يعرفها، عندئذٍ تأتيه الدنيا وهي راغمة، عندئذٍ يعوضه الله خيراً مما ضاع منه. هذا القانون قانون العناية الإلهية المباشرة، هذا يطبق على من آثر رضا الله على حطام الدنيا. فحينما تقع في صراعٍ بين مكانةٍ تحتلها وبين مكسبٍ كبيرٍ أنت تعم فيه، وبين اتباع النص الشرعي، وحينما يغلب عليك حبك لله عز وجل وورعاك، يجب أن تعلم علم اليقين أن الله يؤتيك رضوانه، ويؤتيك ما ضاع منك أضعافاً مضاعفة. فلذلك: من آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً، ومن آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً.

أيها الأخوة الكرام... أحد أخوتنا الكرام عمل في شركةٍ أجنبية، وله راتبٌ كبيرٌ جداً يحقق كل طموحاته، إلا إنه وجد أن بعض هؤلاء الموظفين يحملون الخمر في حقائبهم، فرفض أن يتبع العمل في هذه الشركة، وضحى بهذا الراتب الكبير نظراً لأنه يرتكب معصية.

الذي وقع على عكس ما يتوقع، بدل أن يطردوه وأن يستبدلوه به عشرات من الناس الذي يرضون بهذا تمسكوا به، ونفذوا رغبته وهو في أعلى مكانةٍ عندهم، بسبب أنه آثر طاعة الله على هذا الدخل الكبير، فجعله الله يجمع بين طاعته وكسب رضوانه، وبين بقائه في عمله وراتبه الكبير.

(ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه)

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

إن كنت مخلصاً لله فالله عز وجل لن يخيبك.

٢ – الجود بالراحة و الرفاهية :

أيها الأخوة الكرام... الإنسان يوجد بنفسه، وقد يوجد بمكانته الكبرى التي تتحقق له دنيا عريضة في سبيل الله، وقد يخسر الإنسان شيئاً كثيراً، قد يخسر مكانةً، أو يخسر منصباً في سبيل الالتزام بالشرع؛ ولكن هناك مرتبةٌ ثالثةٌ في البذل هي الجود براحة الإنسان ورفاهيته.

فقد يكون أحدهنا قابعاً في بيته مرتاحاً، يدعى لعمل صالح، يهبه له بشكلٍ نسيط، آثر هذا العمل على ما فيه من مشقة على راحته، هذا أيضاً نوعٌ من البذل، قد يكون الوقت وقت نوم، قد يكون الوقت وقت راحة، قد يكون الوقت وقت استجمام، قد يكون الوقت وقت استرخاء، لكن قد يدعى إلى عمل صالح فيهب لثبيته، هذا بماذا صحي؟ صحي براحته، وصحي بنظام حياته الذي أفسد.

٤ – الجود بالمال :

أيها الأخوة الكرام... هناك من يوجد بنفسه، وهناك من يوجد بمكانته، وهناك من يوجد براحته، وهناك من يوجد بماله، والمال شقيق الروح. وبما أنها الأخوة الكرام... كما قال عليه الصلاة والسلام:

((لا حسد إلا في اثنينِ رجلٌ آتاه اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتَنَوَّهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتاه اللَّهُ مَا لَا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ))

[البخاري عن سالم عن أبيه]

٥ – الجود بالعلم :

هناك مرتبة خامسة أن تجود بالعلم، وأن تجود بالعلم هذا ينطلق من قول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾

[سورة المائدة: ٣٢]

تصور أن أبي رحيمًا عطوفاً له ابن شرد عنه، وغاب عن أنتظاره، ولا يعلم عن أمره شيئاً، وأنك عثرت على ابنه، إن أطعمته ثم أرجعته إلى أبيه، إن ألبسته ثوباً ثم أرجعته إلى أبيه، إن أطعمته وأكرمهه وأعدته إلى أبيه، ماذا يقول لك الأب؟ هذا العمل لا أنساه لك حتى الموت.

هذا مثل أردت منه أن أنطلق إلى مثل أكبر: العبد الشارد، التائه، العاصي إذا مكنك الله من هدايته، وممكنك من أن تعينه إلى ربها، وممكنك من أن تجعله يحب الله ورسوله، فالله عز وجل شكور، هذا الذي يسعى لهداية الخلق له مقام عند الله كبير، إنها صنعة الأنبياء.

يا أيها الأخوة الكرام... من مات ولم يحيث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق، ومن أنواع الجهاد التي وصفها الله بأنها كبيرة أن تجاهد الناس بالقرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان : ٥٦]

فحينما تبذل العلم فهذا جهاد كبير. ولا تنسوا أنها الأخوة أن تعليم العلم فرض عين على كل مسلم، الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعرف ومع من يعلم، لقول الله عز وجل:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر: ٣-٤]

لكن العلماء فصلوا في بذل العلم، هناك من يبذله ليسأل، وهناك إنسان أشد كرمًا يبذله لمن لا يسأله..

لك جارٌ في الحي زره وحدثه عن الدين حديثاً شيئاً مختصراً مثيراً، لك زميلٌ في العمل، لك رفيقٌ في الطريق، لك أخواتٌ، إذا زرت إحدى إخواتك لا بدّ من أن تحدثها عن الله عز وجل، هناك إنسان لا يتكلّم بكلمة حق طوال حياته، يسألهم عن صحتهم وعن أحوالهم وانتهى الأمر، فأنت ألم تستمع إلى خطبة الجمعة راقت لك أحياناً؟ ألا تماك حقيقةً في الدين يجب أن تنقلها للآخرين وهذا من زكاة العلم؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

[البخاري عن ابن عمر] [١]

مراتب العلم :

فيما أيها الأخوة الكرام... أعلى مرتبة في بذل العلم أن تبذله لمن لم يطلبه، المبادرة منك، تمسك أنت زمام المبادرة؛ تبحث عن أناسٍ فيهم الخير، عندهم الإمكانيات، عندهم الاستعدادات، تلقي عليهم العلم بأسلوبٍ جذابٍ شيقٍ مبسطٍ واضحٍ، تصطحبهم إلى المسجد، تسمعهم شريطاً من أجل أن ينتشر هذا الحق، فكلما نمت دوائر الحق تقلّصت دوائر الباطل، فهذا نوع.

والنوع الثاني: أن تبذله لمن سأله؛ ولكن قد تسؤال إنسانٍ عن حكمٍ فقهـي يقول لك: حرام. هكذا، بلا تفصـيل، بلا أدلة، يعطيكـ كلمةً وكـفـى، لكن هناك من يشرح لكـ، من يبيـن لكـ، من يفصلـ، هذه الآية تحـرمـ، هذا الحديثـ وردـ عن رسول اللهـ فيهـ إشارةـ إلىـ تحـريمـ هذاـ الشـيءـ، فـحينـما تـسـأـلـ يـنـبغـيـ أنـ تـجـيبـ إـجـابةـ تـفصـيلـيـةـ، وـهـذـاـ مـنـ بـذـلـ الـعـلـمـ أـيـضـاـ.

أيها الأخوة الكرام... حينما تسـهمـ فيـ هـدـيـةـ إـنـسـانـ، كلـ أـعـمـالـ هـذـاـ إـنـسـانـ فيـ صـحـيـفـتكـ، وـلـاـ يـعـلـمـ إـلـاـ اللهـ الـجـزـاءـ الـأـوـفـيـ الـذـيـ يـدـخـرـهـ اللهـ لـمـنـ يـسـهـمـونـ فيـ نـشـرـ الـحـقـ بـيـنـ النـاسـ، وـلـاـ تـنـسـ أـنـ نـشـرـ الـحـقـ مـكـلـفـ بـهـ أـنـتـ بـأـيـةـ مـرـتـبـةـ أـنـتـ، فـيـ حدـودـ ماـ تـعـلـمـ وـمـعـ مـنـ تـعـرـفـ.

أسلوب إلقاء العلم :

يا أيها الأخوة الكرام... يعلمنا النبي عليه الصلاة والسلام أسلوب إلقاء العلم والتوضيح والتفصـيلـ، فـسـئـلـ عنـ الـوـضـوءـ مـنـ مـاءـ الـبـحـرـ، فـقـالـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ:

((هـوـ الطـهـوـرـ مـأـوـهـ...))

[الترمذـيـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ]

هذا الجواب يكفي، هل نجوز أن نتوضاً بماء البحر؟ قال: نعم:
((هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ – ثم قال: الْحِلُّ مَيْتُهُ))

[الترمذى عن أبي هريرة]

إذاً النبي عليه الصلاة والسلام أجاب عن السؤال وزيادة. سئل عليه الصلاة والسلام عن حكم بيع رطب بالتمر؟ فقال عليه الصلاة والسلام:
((أَيْنَقُصُ الرَّطْبُ إِذَا يَبِسَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَهَمَّ عَنْ ذَلِكِ))

[الترمذى عن أبي عباس]

أعطاهم الحكم، وأعطاهم التعليل، هذا الرطب فيه ماء، فإذا جف نقص الوزن، وليس هناك تكافؤ بين الوزنين. فكان عليه الصلاة والسلام يعطي الحكم والتعليق، يعطي الجواب وزيادة، فهذا من أدب النبي عليه الصلاة والسلام.

أيها الأخوة الكرام: إذا إنسان سألك سؤالاً، أعطه الدليل النقلي؛ الآيات، والأحاديث، وآراء العلماء، والدليل العقلي، تكون قد بالغت في الإجابة، وهذا أيضاً من البذل؛ بذل العلم، بذل النفس، وبذل المكانة، وبذل الراحة، وبذل المال، وبذل العلم.

٦ – الجود بالجاه :

أيها الأخوة الكرام... أيضاً لا زلنا في البذل والعطاء؛ أحياناً لك مكانة عند أحد الناس، ولك آخر كريم عنده قضية عند هذا الرجل، إن ذهبت إليه ورجوته رفع عنه الظلم، هناك من يدخل يقول لك: أنا لا أبذل ماء وجهي لآخرين. هناك من يذهب معك، فهذا الذي يبذل جاهه هذا من البذل أيضاً، إضافة إلى بذل النفس، وبذل المكانة، وبذل الراحة، وبذل المال، وبذل العلم، هناك من يبذل جاهه لنصرة الضعيف.

أحياناً يمكن أن تعيد زوجة إلى زوجها، أو زوجاً إلى زوجته، أحياناً يمكن أن ترأب الصدع وتلم الشمل بخطواتٍ تخطوها إلى بيت، أو بوساطةٍ تتوسطها لدى إنسان، فهذا الذي يدخل عن أن يبذل جاهه أيضاً عند الله بخيلاً. كل إنسان له خصائص، هناك من له جاه عند فلان، وفلان متعمت، والأمر بيده فلان، وهو يهابك ويرجو رضاك، إن ذهبت إليه حللت المشكلة، فهذا الذي يبذل جاهه، أيضاً هو من يعمل عملاً صالحاً. أنا أردت أن أوسع هذا الموضوع بشكل أن ما كل بذلٍ هو بذل مال، هناك أنواع منوعة من البذل كلها تعد عند الله أعمالاً صالحة. فمثلاً حينما قال الله عز وجل:

﴿وَاصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ١]

هذا أمرٌ إلهي يجب أن تصلح نفسك، أن تصلح العلاقة بينك وبين الله، كما يجب أن تصلح العلاقة بينك وبين الناس، والحالة الثالثة يجب أن تصلح العلاقة بين كل مؤمنين، وهناك من

يتوسّط حل الخلافات الزوجية، والخلافات بين الشركاء، والخلافات بين الجيران، والخلافات بين الأقارب، فهذا نوعٌ من العمل الصالح.

٧ – الجود بالجهد العضلي :

يا أيها الأخوة الكرام... وهناك بذل جهد عضلي، يقول عليه الصلاة والسلام: ((تَعْدِلُ بَيْنَ الْاثْتَيْنِ صَدَقَةً وَتُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابِبَتِهِ تَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا صَدَقَةً وَقَالَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَقَالَ كُلُّ خُطُوةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمْيِطُ الْأَذَى عَنِ الْطَّرِيقِ صَدَقَةً))

[أحمد عن أبي هريرة]

هناك جهد عضلي؛ أن تحمل أغراضًا لإنسان متعب، أن تحمل أغراضًا لإنسان متقدم في السن، أن تعطي دورك في ازدحام شديد لأمرأة محجبة، أن تعطي دورك لشيخ وقور..

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ))

[أبو داود عن أبي موسى الأشعري]

هذا أيضًا أيها الأخوة من العمل الصالح.

٨ – الجود بالعرض :

ومن أغرب أنواع البذل هو الجود بالعرض، والعرض كما تعلمون موضع المدح والذم في الإنسان، فأحد أصحاب النبي رضوان الله عليهم اسمه أبو ضمطم أصبح فقال: اللهم إني لا مال لي - أنا فقير يا رب - أتصدق به على الناس، وقد تصدق عليهم بعرضي؛ فمن شتمني أو فذني فهو في حل. قال عليه الصلاة والسلام:

((أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْطَمَ))

[أبو داود عن أنس]

ماذا بذل؟ بذل عرضه، هذا الذي تكلّم بحقه وله عنده حق سامحه به، فهذا نوعٌ من البذل. فيما أيها الأخوة يمكن أن يبذل الإنسان نفسه، ويمكن أن يبذل مكانته التي هي شقيق روحه، ويمكن أن يبذل راحته، ويمكن أن يبذل ماله، ويمكن أن يبذل علمه، ويمكن أن يبذل جاهه، ويمكن أن يبذل عضلاته، وجehde العضلي، ويمكن أن يبذل عرضه، كل هذا لأنك تعيش في هذه الدنيا من أجل عمل صالح ترقى به.

٩ – الجود بالصبر :

بقي شيء آخر هو أن تجود بالصبر. كيف؟

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى: ٤٠]

قد تعفو على إنسان اعتدى على ابنك ولكنه لم يقصد ذلك، يمشي بسرعة معتدلة، الابن قفز أمامه، فأصابه كسر في بعض أعضائه، بإمكانك أن تقتضي منه، وأن تأخذ منه الحق كاملاً، ولكنك رأيته فقيراً، ورأيته منضبطاً بقوانين السير، والخطأ من الابن، فأسقطت حفاظ الشخصي، وصبرت على هذا المصاب الذي ألم بك، فهذا نوع من البذل، والقاعدة فيها الأخوة:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبُغْيُ هُمْ يَتَصَرَّفُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى : ٣٩ - ٤٠]

إذا غلب على يقينك أن عفوك عن هذا الإنسان يصلحه، عندئذ يتولى الله في عليائه أن يأجرك الأجر الكبير.

١٠ - الجود بالخلق والبشر وبسطة الوجه :

أيها الأخوة الكرام... بقي شيء وهو الجود بالخلق والبشر وبسطة الوجه.
إنسان بعمل، في رأس عمل، مدير مستشفى، مدير مدرسة، مدير مؤسسة، عنده موظفون ضعفاء، أحياناً ماذا يبذل لهم؟ ابتسامة، وجه طلق، سؤال عن صحتهم، هذا يجر خاطرهم، لذلك أحياناً ابتسامة في وجهك لرجل يخشاك هذا بذل وعطاء، أن تلقى أخاك بوجه طلق هذا أيضاً من البذل.

١١ - العفو عما في أيدي الناس :

أيها الأخوة الكرام... وبقي نوع سلبي، حينما تعرف عما في أيدي الناس فهذا نوع من البذل السلبي، حينما لا تطمع بما عندهم، تغفو عما في أيديهم، هذا نوع من البذل، والمؤمن كما قلت في أول الخطبة بنى حياته على العطاء، وكل هذه الأنواع أنواع منوعة متاحة لكل مؤمن أن يستخدمها، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعواهم بأخلاقكم))

[الجامع الصغير عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الكرام... حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلانتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هوها وتنمى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آيات الله في البوسنة :

أيها الأخوة الكرام... في القرآن الكريم آية تقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

[سورة البقرة : ٢٦]

وقد يعجب الإنسان من هذا المثل الذي ضربه الله عز وجل، وقد كنت حذثكم من قبل على أن كل بعوضة لها ثلاثة قلوب؛ قلبٌ مركزي وقلبٌ لكل جناح، وأن جناح البوسنة يرفُ أربعة آلاف رفة في الثانية، حتى يحدث الطنين، وأن كل بعوضة عندها جهاز تمبيع للدم، وجهاز تخدير، وجهاز تحليل، وجهاز رadar ؛ جهاز رادار تصل إلى ضحيتها مباشرةً، وتخل دمه، وتغرس خرطومها فتخدره، جهاز تحليل ورادار وتخدير، كل هذه الأجهزة تعمل وأنت لا تدري.

ثم أخُ كريم قمَّ لي قصاصة جريدةٍ قبل يومين، في هذه القصاصة بحثٌ علمي أجراه عالم الحشرات في جامعة كاليفورنيا، يقول العالم الذي اختص بهذا الموضوع:

إن البوسنة يمكنها أن تشم رائحة وجيةٍ بشريةٍ سمةٌ مغربيةٌ من على بعد أربعين ميلاً، أي أربعة وستين كيلو متراً، فزفير الإنسان فيه بعض الروائح، هذه الروائح تهتمي إليها البوسنة من أربعة وستين كيلو متراً وتأتي، ولكن الذي يحضرُ على النظافة أن عرق الإنسان هو الذي يجذب البوسنة إليه، فالذي يكثر من الاغتسال، الذي ينظف جسمه جيداً، قلماً يأتيه البوسن، رائحة العرق وزفير النفس هو الذي يجذب البوسنة إلى الإنسان.

أيها الأخوة الكرام...

((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها شربة ماء))

[مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله]

فلا يوجد مخلوق أهون على الإنسان من بعوضة، يقتلها الإنسان دون أن يشعر بشيء، ومع ذلك فيها مخالب تقف بها على الجدران الخشنة، وفيها محاجم بنهايات أقدامها، تقف بها على الجدران الملساء، ولها ثلاثة قلوب، وفيها جهاز رadar، وجهاز تحليل، وجهاز تخدير، وأجهزة أخرى، وتهتمي إلى ضحيتها من أربعة وستين كيلو متراً، وهذه البوسنة التي ضربها الله مثلً لدقة صنعته:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعْوَضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا
يُضْلِلُ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة البقرة : ٢٦]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافنا فيمن عافيت، و تولنا فيمن توليت، و بارك لنا فيما أعطيت، و قنا
واصرف عننا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا
يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، و لك الحمد على ما قضيت، نستغرك و نتوب إليك،
اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر
 علينا، أرضنا وارض عنا، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإفتار، فنسألك شر خلفك،
ونبئلي بحمد من أعطى و ذم من منع، و أنت من فوقهم ولهم العطاء، و بيده وحدك خزائن
الأرض و السماء، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب
العالمين، اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله علينا فيما تحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله
فraigاً لنا فيما تحب، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، و أصلح لنا دنيانا التي فيها
معاشنا، و أصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، و اجعل الحياة زادنا من كل خير، واجعل الموت
راحة لنا من كل شر مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، و بطاعتك عن
معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمننا مكرك، ولا تهلك علينا سترك، و لا تتمننا ذكرك،
يا رب العالمين، اللهم بفضلك رحمتك أعلى كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، و
خذ بيده ولاتهم إلى ما تحب و ترضى، إنك على ما تشاء قادر، و بالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين